أسماء الغول*

تساؤلات بشأن الهوية الثقافية لغزّة

تساؤلات وأفكار بشأن مصير الهوية الثقافية الفلسطينية بمكوِّنيها الوطني والديني في قطاع غزة، ومحاولة البحث في التاريخ عن نقطة تحوّل أصبح فيها المكان سواه، وغدا الدين وظيفياً بعد أن كان حياة، وأضحت الثقافة بغنائها ودبكتها وشِعرها مكروهة وملاحقة، فتفككت هذه الهوية ككيان واحد ثقافي ـ ديني ـ وطني، إلى سياقات منعزلة ومتخلخلة ومؤدلجة.

كيف حدث وتنكّر المكان لنفسه؟!

في إحدى المقابلات المسجلة بشأن توثيق التاريخ الشفوي، وخلال الحديث عن ذكريات مدرسة الرملة الابتدائية للبنات، تستحضر المربية مليحة الخيري مشاركتها في رحلة نظّمتها مدرستها قبل النكبة، بهدف جمع الزهور البرية من وادي اللطرون، للمشاركة في مسابقة جمع الزهور البرية وتنسيقها، والتي كانت تجري وقتها على مستوى المدن الفلسطينية كافة.[1]

تقول الخيري: "دُرنا بالجبال نلقّط الزهور المحلية، ولقّطنا كميات هائلة من الزهور منها زهرة قرن الغزال، ورُحنا على القدس نسّقناهم وطلعت مدرستنا الأولى بتنسيق الزهور."

هذا النوع من الرحلات والأنشطة غير المنهجية، والذي يستهدف علاقة الإنسان المباشرة بالمكان والبيئة، لم يكن في واقع الأمر سوى ممارسة غير واعية من الفلسطينيين، لإنتاج نسختهم الخاصة ممّا يطلق عليه بلغة السوسيولوجيا الحديثة: "الرومانتيكية الوطنية". وهو مصطلح يعبّر عن علاقة الإنسان الشخصية بطبيعة المكان والمعمار والبيئة، وبذلك يرتبط في عقله خلال عملية ميكانيزم الاستدعاء التزاوجي بين الحدث المجرد والحدث العيني، وبكلمات أبسط يربط بين الطبيعة والأحداث، كأن تقول إحدى الجدات: "ولدت ابني الكبير بيوم الثلجة."[2]

إن الوطن ما هو إلاّ ذاكرة الفلسطيني التي تصنع هويته الرومانتيكية،[3] فتربط المكان بالمشاعر والأحداث، وتربط هذه الهوية بالعادات والتقاليد والأغاني الشعبية التي كانت تقام على هذه الطبيعة.

ولم تبتعد الشعائر الدينية وقتها أيضاً عن الطبيعة، فبحسب الكاتب سليم تماري في كتابه

* كاتبة فلسطينية.

"الجبل ضد البحر"، كانت الشعائر تلك كرنفالية ترتبط مباشرة بالطبيعة والفرح وتشبه حياة الفلاح الفلسطيني اليومية.[٤] يقول تماري عن احتفال موسم النبي روبين: "يستعرض الموسم في الشواطئ الجنوبية لبحر يافا، نموذجاً طقسياً باهراً للتعبير النفسي الجماعي عن الخلجات المقموعة لسكان مدن الساحل... فيبدأ الموسم في الأول من تموز [يوليو] بالمسيرة الاحتفالية المعروفة بزفة النبي روبين، يتصدرها حملة البيارق والفرق الموسيقية التي تتجمع عند الجامع الكبير."

ولم يكن مفهوم الهوية الفلسطينية وقتها مرفوداً بالشعارات الغائبة عن فعل التماس الفيزيائي بالمكان، وإنما كان مرتبطاً بتحدي الاحتلال الإسرائيلي الذي يدّعي أنه صاحب الأرض، وهذا التحدي يتجسد عبر العلاقة بالمكان، وتعميقها باستخدام الحواس.

الهوية والمكان

يعتبر العديد من المؤرخين أن النفحة القومية الأولى للهوية الوطنية الفلسطينية بدأت على يد الفلاحين (المزارعين) في سنة ١٨٣٤، ويؤكد الباحث أمجد السائح في دراسة له، أن ارتباط الهوية الفلسطينية بشكلها الوطني الحالي، بدأ حين بحثت فلسطين عن هوية منفصلة عن الهوية العثمانية، خلال ثورة "تمرد الفلاحين"، وكان الهدف الرئيسي من هذه الثورة هو التحرر من ظلم الحكم العثماني، والسيطرة على موارد الإنتاج التي كانت حينها في يد العثمانيين.[٥]

وتُعتبر ثورة ١٩٣٦ المرحلة الثانية لتبلور الهوية الفلسطينية، إذ طور الفلسطينيون تصوراً لهوية وطنية فلسطينية ترتبط بحدود جغرافية وسياسية محددة، ومتوازية مع إنشاء مؤسسات وقيادات وطنية استمدت مشروعيتها من مقاومة الاحتلالَين الصهيوني والبريطاني، ومرتبطة آنذاك بامتدادَيها العربي والإسلامي بشكل عميق.[٦]

ثم جاءت نكبة ١٩٤٨ التي تُعتبر أيقونة الهوية الفلسطينية، ليصبح امتداد الهوية هو الحركة القومية، فكان الخلاص وقتها لتحرير فلسطين هو الانضمام إلى تنظيمات قومية عربية، ثم كان للشتات الأثر الأكبر في تشكيل الهوية عبر إعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية،[٧] وكان قطاع غزة استقبل حينها نحو ٢٠٠,٠٠٠ من لاجئي النكبة، الأمر الذي غيّر من تركيبته السوسيولوجية.[٨]

خلال الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في سنة ١٩٦٧، اتصفت الهوية الفلسطينية بنرجسيتها الأقوى، لتصل إلى ذروتها في سنة ١٩٨٧ مع الانتفاضة الأولى، فارتبطت برمزية الحجر، وكانت شهدت زخماً جديداً وبروزاً قوياً لفصائل المقاومة المسلحة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية التي تكرست كصيغة ائتلافية جامعة تعبّر عن الكيان والهوية الفلسطينيين. وقد شهدنا مفارقة ذات مغزى، ففي الفترة التي خبا فيها سطوع الكفاح المسلح بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، صعد تيار الإسلام السياسي مكتسباً شرعيته من مشاركته الفاعلة في الانتفاضة، على الرغم من أنه رفض الانضمام إلى منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد، مقدماً نفسه كصاحب رؤية خاصة بالهوية، وبديلة من الهوية التي جسدتها المنظمة.[٩]

ثم حدث النكوص وتغيرت الثوابت مع توقيع اتفاق أوسلو في سنة ١٩٩٣، وبدلاً من الوطن، أصبح هناك "المتاح من الوطن"، وتعاملت العقلية الأوسلوية مع الفلسطينيين كوحدات بشرية معزولة في أراضي ١٩٤٨ والضفة وغزة والقدس والشتات، وغدت الهوية شعاراً، وثوباً مطرزاً بالغرزة الفلاحية، إلى أن حدث الانقسام بين الضفة الغربية وقطاع غزة في حزيران / يونيو ٢٠٠٧،

لتصبح الهوية الفلسطينية شأناً نخبوياً وتراثياً.

ومنذ تلك اللحظة إلى اليوم، هناك حالة ضبابية تعتري كيان هوية الفلسطينيين الوطنية وسط انتماءات عائلية وحزبية واقتتال داخلي وشتات، ليكون لكل من هذه الانتماءات المناطقية والإثنية والحزبية تأثيرها في درجة تماسك الهوية الوطنية وشكلها.

الضباب يعتري أيضاً المرحلة الحالية التي يمر بها قطاع غزة حتى في المصطلح، فكلمة قطاع لم يطلقها فلسطيني، ولا تحمل أي مدلول وطني، وهناك مَن يفضّل أن يطلَق عليه الوصف الحكومي "محافظات غزة"، أو تسميته "ساحل غزة". وفي إحدى الندوات في المركز الفرنسي، اعتبر الكاتب الفرنسي جون بيير فيليو مصطلح "قطاع" مصطلحاً "مصمَتاً"، وخالياً من الروح، وخياراً كولونيالياً.[١٠]

استعمار الأيديولوجيات

الاستعمار الذي يتحدث عنه جون بيير فيليو هو الاستعمار الكلاسيكي، أكان بريطانياً أم إسرائيلياً، لكن هناك الآن نوع آخر من الاستعمار الناعم الذي يحاول أن يماثل المستعمَر، فهو ليس عدوه الذي ينشّط الروح لقتاله، إمّا كسلاً في نقاش مطلقاته وإمّا خوفاً من شعبيته؛ إنه استعمار الأيديولوجيات.

ويجب الرجوع عميقاً في التاريخ قبل اتهام أي أيديولوجيا بتغيير روح المكان والهوية، فالقصة ضاربة في جذورها وتعود إلى فترة إبراهيم باشا خلال حكم الدولة العثمانية لفلسطين، ذلك بأن أعداد المصريين الذين دخلوا إلى قطاع غزة في تلك الفترة لا يُستهان بها. ويقول عثمان الطبّاع في كتابه "إتحاف الأعزة في تاريخ غزة" عن إبراهيم باشا: "طمحت نفسه أن يضم بلاد الشام إلى مصر"، و"إنه كان طائشاً وسافكاً للدماء" بهدف معاقبة الثوار من عربان غزة الذين انضموا إلى تمرد الفلاحين. ومنذ بطشه بغزة، والذي بدأ في سنة ١٨٤٠، بدأت أعداد سكان غزة التي كانت وصلت إلى نحو ٤٠,٠٠٠ آنذاك، تتناقص بالتدريج جرّاء توالي المصائب، ابتداء بزحف الجراد الذي قضى على المحاصيل الزراعية، مروراً بارتفاع الضرائب وانتشار الأمراض والأوبئة التي فتكت بأهالي غزة، إلى أن اختفوا من شوارع المدينة حين بدأت الحرب العالمية الأولى، وصولاً إلى استفراد الأتراك بالمدينة لمواجهة الإنكليز، فلم يتركوا سطح منزل إلاّ خلعوه، الأمر الذي تسبب بفرار جميع أهلها إلى اللد والرملة ودمشق والقدس والخليل ونابلس وحلب. ويصف صاحب كتاب "إتحاف الأعزة" غزة وقتها، قائلاً: "رأيت حالتها تُبكي العيون وتفطر الأكباد، مدينة خالية خاوية على عروشها.. ورأيت أوراق المصاحف والتفاسير وكتب الحديث وغيره مبعثرة في الطرقات."[١١]

إن هروب أهل غزة وانقطاعهم تماماً عن تاريخها وعاداتها وثقافتها وبقاء الجنود المصريين فيها وعائلاتهم، جعلا أمر عودتهم صعباً بعد أن وضعت الحرب أوزارها في ثلاثينيات القرن الماضي ـ وكان عددهم آنذاك ١٨,٠٠٠ ـ وأصابهم ما يشبه الصدمة والحيرة تجاه هويتهم بعد أن عاشوا في بلاد أُخرى.[١٢]

لقد تغير هذا المكان منذ تلك اللحظة، وبات يشبه أي مكان سواه، فتأثر بثقافات متعددة يحملها العائدون، وكان تشبّع بالثقافة المصرية منذ أن حاول إبراهيم باشا تمصير غزة.

ولم يكن هذا الأخير وحده من سعى لذلك، فالناصر محمد بن قلاوون قبله عمل على ذلك، ويقول المقريزي: "حتى إن مدينة غزة هو الذي مصّرها وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل

كآحاد قرى البلاد الشامية... ولم تكن قبل ذلك إلاّ ضيعة من ضياع الرملة."[١٣]

علاوة على ذلك، بدأ التدين يأخذ شكله "المصري الشعبي" كثقافة غيبية وأيديولوجية، فقد كان عدد كبير من المؤذنين والمقرئين في غزة من مصر.

ومن المهم الإشارة إلى أن المناهج الدراسية المصرية ظلت تدرّس في مدارس القطاع منذ الصف الأول الابتدائي إلى الثالث الثانوي، وذلك حتى سنة ٢٠٠١، حين بدأ تطبيق المنهاج الفلسطيني التجريبي بالتدريج.[١٤]

وجرى توحيد المنهاج بالكامل في سنة ٢٠٠٧ من طرف وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، بعد أن استُغني عن المنهاج المصري كلياً، والذي كان يتعمق بإسهاب في تاريخ مصر وجغرافيتها.[١٥]

ونجد هذا الارتداد نحو استلاب الهوية، وتلبّس غزة شخصية أُخرى، قد عادا حديثاً، وليس السبب في ذلك فقط أن حركة "حماس" أمسكت بزمام الحكم في القطاع حين فازت في الانتخابات التشريعية في سنة ٢٠٠٦، أو العنف الذي صاحب فترة حكمها ـ بنوعَيه: الخارجي، كالحروب العدوانية الثلاث التي شنتها إسرائيل خلال سنوات ٢٠٠٨؛ ٢٠١٢؛ ٢٠١٤، أو العنف الداخلي الذي تمارسه الحركة ذاتها مع معارضيها السياسيين ـ بل هناك أيضاً هيمنة الدولة العثمانية التي لا تزال ذيولها تظهر واضحة عبر دور تركيا في غزة كثاني أقوى دولة بعد قطر، غدت تساند حكم "حماس" في عزلتها الإقليمية.

إذاً، نلاحظ هنا أن الثقافة الغزيّة غالباً ما تكون ضحية محرريها أو حكامها، كأنها مدينة ملقاة على قارعة طريق الفاتحين والمنتصرين، أو كما وصفها الكاتب جيرالد بات في عنوان كتابه: "حياة على مفترق طرق: تاريخ غزة"، فهي مع كل محاولة تحرير، تخسر من هويتها وشخصيتها وعاداتها.[١٦]

لكن استعمار الأيديولوجيا الناعم ليس هو وحده سبب الارتداد في الهوية خلال العقد الأخير، فما عزز هذه العوامل كلها، وارتد بالقطاع إلى الوراء، هو الحصار الدولي الذي بدأ في سنة ٢٠٠٧، ذلك بأن دول العالم لم تقاطع "حماس" فقط باعتبارها حركة مدرجة في قوائم المنظمات الإرهابية، بل قاطعت كل شيء تمسّه هذه الحركة: وزارات، ومؤسسات، وشوارع، ومنازل، وبشر، الأمر الذي جعل لهذا القرار عواقب غير قابلة للتصحيح على جيل بأكمله نشأ وكبر خلال عشرة أعوام من حكم هذه الحركة. وهكذا، فإن المجتمع الدولي يتحمّل مسؤولية ما آلت إليه نتائج هذا الحصار.

أثر التعليم في الهوية الثقافية

رجوعاً إلى رحلة مليحة في وادي اللطرون وتأثير التعليم في مكون الهوية الثقافية والوطنية، سنلقي نظرة على نوعية الأنشطة غير المنهجية التي قامت بها وزارة التربية والتعليم في حكومة حركة "حماس" بعد أن غاب الدعم الدولي تماماً عن هذه الأنشطة. ففي سنة ٢٠١٣، قال مدير الأنشطة التربوية في وزارة التربية والتعليم في غزة محمد صيام، لوسائل إعلام دولية، إن الحصار أثّر "بوجه عام على أداء الوزارة وعلى الأنشطة بوجه خاص، فقد كانت هناك أنشطة متنوعة ومدعومة طوال العام، والآن تكاد تكون متواضعة بسبب قلة الدعم بعد الحصار الدولي."[١٧]

وقال بشأن الأنشطة التي كانت قائمة في حينه: "هناك نشاط جديد بدأ منذ شهر أيلول / سبتمبر ٢٠١٢، واسمه 'الفتوة' وهو في مدارس الذكور حالياً، وسيجري إدخاله إلى مدارس الإناث لاحقاً،

موضحاً أنه عبارة عن تدريبات بدنية وتعلّم على أنواع الأسلحة والدفاع عن النفس والإسعافات الأولية، وقد جرى تقديمه إلى ٣٦,٠٠٠ طالب في القطاع في أثناء الدوام المدرسي."[١٨]

أمّا فيما يتعلق بنشاط غذاء الروح الديني، فأوضح صيام أن "هذا النشاط جرى تطبيقه منذ عامين ويعتمد على الوسطية في الدين، ويجري اختيار الموضوعات من قبل وزارة التربية والتعليم. أمّا رجال الدين فتختارهم وزارة الأوقاف، لتنظيم لقاءات دينية مع الطالبات والطلاب ثلاث مرات شهرياً في الإذاعة المدرسية الصباحية لضمان التوازن النفسي والبدني والروحي للطالب والطالبة، موضحاً أن الموضوعات تتركز حول الصلاة والرسول القدوة وأحكام زينة المرأة واحترام الآخر."[١٩]

بعد ثلاثة أعوام من هذا اللقاء مع وسائل إعلام دولية، انقلب ما يسميه صيام التوازن النفسي إلى مذلة على الملأ حين دعا بعض رجال الدين الذين اختارتهم وزارة الأوقاف، طالباً لا يتجاوز الـ ١٣ عاماً، إلى الاعتراف بأنه مذنب، فيتوب إلى الله أمام طابور الصباح في واحدة من مدارس غزة، في شكل جديد من صكوك الغفران. وقد انتشر الفيديو بتاريخ ٢٠١٦/٤/٥ على نطاق واسع، وسط مؤيد ومعارض.[٢٠]

وليس بعيداً عن الوصاية الدينية ذاتها، تحكّم شاب في العشرينيات من عمره من جهاز المباحث التابع لوزارة الداخلية التي تقودها حركة "حماس"، في أكثر من ألف متفرج يشاهدون في افتتاح مهرجان "السجادة الحمراء"، في قاعة مركز رشاد الشوا، بتاريخ ٢٠١٦/٥/١٢، فيلم الافتتاح "يا طير يا طاير" للمخرج هاني أبو أسعد، حين أمر إدارة المركز بإنارة الأضواء وعدم الإعتام الكلّي، خوفاً من حدوث أفعال غير أخلاقية، وهو ما عكّر عرض الفيلم. وانعكست الرقابة ذاتها على بقية أيام المهرجان، وسط تفاوض مستمر ومتوتر بين إدارة المهرجان والمباحث، إمّا إعتام وفصل بين الرجال والنساء، وإمّا إضاءة وعدم الفصل بينهما.[٢١]

إذاً، يمثل الخطاب الديني جزءاً مهماً من هوية قطاع غزة الحالية وصورتها العامة، إنه مشهد أقرب إلى مصطلح "الدين المؤسساتي" الذي استخدمته المفكرة فاطمة المرنيسي، أو إلى الدين المتشدد ـ إن صح التعبير ـ الذي يفرض القواعد "الدينية": كالزي ومنع الاختلاط في الأماكن الحكومية والمرافق العامة.

ويبدو أن هذا الأمر نتاج الضرورة، فهناك دول تدفع عشرات ملايين الدولارات عقب كل حرب لإنعاش غزة وإعادة الإعمار على الطريقة الخليجية، سواء عبر شكل المعمار السكني للمدن الجديدة، أو مشاريع توسيع الشوارع. وبذلك تكون الهوية الفلسطينية سُلبت تماماً، ليس فقط لربطها برؤية دينية متحزبة مجافية للعلاقة بالأرض والمكان، بل لأن هذا المكان تغير أيضاً، وأخذ شكل أماكن أُخرى لا تشبهه.

جيل مغترب عن المكان

وسط هذا كله، ومع إعلاء صوت التدين والسلاح في المدارس في سن مبكرة، في مقابل غياب دعم المواهب والموسيقى والفن والكتابة، فإن من الطبيعي أن ينشأ جيل مغترب تماماً عن المكان والبيئة: علاقته بالأرض سطحية، وانتماؤه هو إلى شيء خارج المكان، أمّا ذاكرته فخالية من النواة الصلبة، ومعلقة بالشعار فقط، أكان دينياً أم سياسياً.[٢٢] إن التداعي الحر لذاكرته عند توثيق الأحداث ـ "ميكانيزم الاستدعاء التزاوجي" ـ مرتبط بأحداث مأسوية: "قبل الانقلاب أو بعده"، "بعد حرب ٢٠١٢ وقبل حرب ٢٠١٤"، إنه جيل عالق في كل ما هو مطلق ومتملص وغير محدد.

ولا يمكن إنكار أن الأمر سيكون ساذجاً تماماً لو توقعنا تطور حركة "حماس" تحت حصار مشدد، فهذا الحصار لا يدفعها سوى إلى فرض مزيد من الضرائب كي تتغلب على أزماتها المالية، ومزيد من حشر أنفها في الحريات العامة، وتتبّع الأفراد ما دامت غير قادرة على مراكمة نجاحات دولية. وسيكون أمراً مجامِلاً تماماً إذا قلنا إن حكمها أقرب إلى نموذج أردوغان، وهو ما حاول القيادي في "حماس" أحمد يوسف، تأكيده في أكثر من مناسبة. إن حكومة ثيوقراطية تعلن من المساجد قرارها السياسي، من الطبيعي أن تكون معارضتها في أحسن تقدير، الجماعات السلفية المتشددة وتنظيم الدولة الإسلامية، وخصوصاً بعد أن تراجعت معارضتها العلمانية عن المواجهة بعد الاعتقال والتهديد والابتزاز، وأحياناً التواطؤ.

إنه تغييب للأنشطة الوطنية التي لها علاقة مباشرة بالأرض والثقافة المتوارثة، ولن نضرب مثالاً طوباوياً كالتعرف على الأزهار المحلية، وإنما سنأخذ مثالاً حيوياً كالرقص الفلسطيني الشعبي "الدبكة". فالأجهزة الأمنية التي تقودها "حماس"، وحتى هذه اللحظة، تحرم الفتيات من ممارستها في العلن، كما أنها تلاحق هذه الأنشطة كأنها فعل فضيحة في الأماكن العامة، والشواهد على ذلك كثيرة، وهذا كله يقع تحت حجة واهية: "نحافظ على عادات وتقاليد وهوية مجتمعنا الإسلامي."

قال أحمد طافش، مدير فرقة الدبكة في جمعية جباليا للتنمية، لوسائل إعلام محلية بتاريخ ٢٠/٣/٢٠١٤: "إن الأجهزة الأمنية التابعة لحكومة غزة، التي تديرها حركة حماس، تمنع أعضاء الفرقة من إقامة الحفلات بمشاركة الفتيات."[٢٣]

وفي السياق ذاته، أقدم القيادي في "حماس" والأكاديمي صالح الرقب على مهاجمة الشاعر محمود درويش حين كتب في حسابه في "الفايسبوك" في منتصف تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٦، قائلاً: "أقترح لطلابنا في قسم العقيدة عنواناً لرسالة ماجستير بعنوان 'الانحرافات الاعتقادية في الشعر الفلسطيني المعاصر' محمود درويش نموذجاً... طبعاً يوجد شعراء آخرون لهم تخبيصات.. وهو موضوع يستحق الكتابة..."[٢٤]

وقبله بأيام قليلة نشر وزير الثقافة السابق والقيادي في "حماس" عطا الله أبو السبح، في حسابه في "الفايسبوك" تعليقاً قال فيه: "الدِّحِيَّة التي لا يخلو منها فرح، هي من أشد الملوّثات السمعية، فضلاً عن أنها من أتلف صور الفن الغنائي، فقط هي جعير، وكلام أعجمي بدائي غير مفهوم لديّ البتة."[٢٥]

والدِّحِيَّة نوع من أنواع الرقص التراثي جاء من أهل الصحراء "البدو"، ويكون مصاحباً لغناء الأشعار المتوارثة، وتجري تأديته بطريقة جماعية، وبالتناوب بين فريقين، يقول أحدهما ويردد الآخر، أو يهجو، أو يفتخر أحدهما، ويردّ الآخر بهجاء مضاد، أو بتفاخر.

إذاً، هو تقويض للمشروع الثقافي الوطني المتكامل بغطاء شرعي، واستمالة الشعب عبر شعار الحفاظ على العفّة والدين، وهي شعارات تمس نقطة الضعف والخوف في المجتمعات المحافظة، فيصبح كل فرد متنازلاً طوعياً عن هويته الوطنية الشخصية لآخر يدافع عن شرفه ودينه.

وإنها لكوميديا سوداء حين تقرأ الخطة الاستراتيجية لقطاع الثقافة والتراث المقررة بين سنتَي ٢٠١٤ و٢٠١٦، والتي نشرتها وزارة الثقافة الفلسطينية في رام الله في سنة ٢٠١٣ لكامل الوطن، فقد وُضع لهذه الخطة هدفان رئيسيان هما: خلق "بيئة أكثر تمكيناً للثقافة الفلسطينية تساهم في نشر ثقافة وطنية تعددية تعزز الوحدة، وفي دعم موروث ثقافي للشعب الفلسطيني أكثر حماية وتجديداً، يشكل مخزوناً ثقافياً يوحّد الهوية الثقافية عبر جمع وتوثيق وأرشفة الموروث الثقافي

الفلسطيني من حكايات وأمثال ونوادر وتاريخ شفوي ولهجات وقصص وأساطير ومخطوطات"، و"رفع مستوى الوعي بقيمة التراث."[٢٦]

إن هذه الخطة لا تعبّر سوى عن حالة إنكار مريعة، وفصام تام بين المؤسسات الثقافية في رام الله، وما يحدث في قطاع غزة. والمفارقة أنه بعد ٦٠ عاماً بالضبط من رحلة المربية مليحة الخيري إلى وادي اللطرون لجمع الأزهار، ومنها زهرة "قرن الغزال" أو "الزعمطوط"، وتحديداً في سنة ٢٠٠٨، أعلنت إسرائيل أن "قرن الغزال" ستكون الزهرة الرسمية للدولة.[٢٧]

إنهم يتصرفون كما كان يفعل المالك الحقيقي للأرض، ويتركون الأخير يرتع بالشعارات التي ليست لها جذور فيها! ■

المصادر

١ مليحة الخيري، الجزء الأول من مقابلة "تاريخ شفوي للنكبة الفلسطينية مع السيدة مليحة الخيري من مدينة الرملة ـ فلسطين"، في موقع "يوتيوب"، في الرابط الإلكتروني التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=l8Gep33O7v4

٢ مقابلة خاصة أُجريت بتاريخ ٢٠١٦/٥/٦، مع إسماعيل أبو شميس، وهو محاضر في الفكر والفلسفة وتاريخ فلسطين.

٣ بشأن تأصيل اتجاه الرومانسية الوطنية، انظر: موسوعة "ويكيبيديا" الإلكترونية الحرة، في الرابط التالي:
https://en.wikipedia.org/wiki/Romantic_nationalism

٤ سليم تماري، "الجبل ضد البحر" (رام الله: مواطن، ٢٠٠٥)، ص٢٣ ـ ٢٤.

٥ أمجد رامز السائح، "إشكالية الهوية الوطنية الفلسطينية: مراحل تكونها والاغتراب فيها"، "أرض فلسطين للدراسات والتوثيق" (٢٠١٤)، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.palestineland.net/index.php/content-category-2/372-2014-10-13-13-11-28

٦ رضوى عبد القادر،"المكون العربي في الهوية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٤٨"، "صامد الاقتصادي"، العدد ١٤١ (تموز ـ يوليو / أيلول ـ سبتمبر٢٠٠٥)، ص ١٢٤.

٧ عماد أبو رحمة، "أثر عملية التسوية السياسية على الهوية الفلسطينية"، رسالة ماجستير (غزة: جامعة الأزهر، ٢٠١١)، ص ١٠١.

٨ إبراهيم أبراش، "صناعة دولة غزة"، وكالة "سما" الإخبارية (٢٠١٥)، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://samanews.com/ar/index.php?act=post&id=226439

٩ أبو رحمة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧.

١٠ ندوة للكاتب جون بيير فيليو، في المركز الثقافي الفرنسي، في غزة، في سنة ٢٠١٢.

١١ عثمان الطبّاع، "إتحاف الأعزة في تاريخ غزة"، تحقيق ودراسة عبد اللطيف زكي أبو هاشم (غزة: مكتبة اليازجي، ١٩٩٩)، ص٣٠٦ ـ ٣١٦.

١٢ عارف العارف، "تاريخ غزة" (الجيزة: مطبعة العمرانية للأوفست، ١٩٤٣)، ص٢٥١.
١٣ تقي الدين المقريزي، "السلوك لمعرفة دول الملوك"، "الموسوعة الشاملة"، ص ٢ / ٥٤، في الرابط الإلكتروني التالي: islamport.com/d/3/tkh/1/29/494.html
١٤ جهاد أبو مصطفى، "قصة المدرسة في غزة: منذ السلطنة وحتى السلطة"، "السفير"، مجلة "فلسطين" (٢٠١٥)، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=3365
١٥ المصدر نفسه.
١٦ Gerald Butt, *Life at the Crossroads: A History of Gaza* (Cyprus: Rimal Publications, 2010).
١٧ أسماء الغول، "الحصار على قطاع غزة: حصار بطون أم حصار عقول؟"، موقع "المونيتور" الإلكتروني (٢٠١٣)، في الرابط التالي:
http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2013/02/gaza-blockade-intellectual-cultural.html
١٨ المصدر نفسه.
١٩ المصدر نفسه.
٢٠ انظر شريط الفيديو الذي نشرته "وكالة سوا الإخبارية" الفلسطينية، بعنوان: "بكاء وتوبة في أحد مدارس غزة"، في موقع "يوتيوب"، بتاريخ ٥ / ٤ / ٢٠١٦، في الرابط الإلكتروني التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=kfZ0C6aFkf4
٢١ انظر: أيمن بردويل، "سلطة حماس في غزة تضيّق على مهرجان السجادة الحمراء، وتنزع الفرح ثلاث مرات"، موقع "فايسبوك" الإلكتروني (٢٠١٦)، في الرابط التالي:
https://www.facebook.com/bardawil/posts/10153554984137452
٢٢ مقابلة مع إسماعيل أبو شميس، بتاريخ ٦ / ٥ / ٢٠١٦، مصدر سبق ذكره.
٢٣ أحمد طافش، "الدبكة في غزة... فن فلكلوري مقبول ولكن... بدون فتيات"، "القدس العربي" (٢٠١٤)، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.alquds.co.uk/?p=145847
٢٤ "بعد الدِّحيَّة: مسؤول حمساوي يسيء لدرويش ويصف أشعاره بطامات مهلكات"، "الحياة الجديدة" (رام الله)، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.alhaya.ps/ar_page.php?id=1dfe599y31450521Y1dfe599
٢٥ "إلاّ الدِّحيَّة: ما الذي أغضب أبناء البادية من الوزير الحمساوي؟"، "عرب ٤٨"، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.arab48.com/فسحة/صوت/٢٠١٦/١٠/١٠/إلاّ-الدّحيّة-ما-الذي-أغضب-أبناء-البادية-من-الوزير-الحمساوي
٢٦ وزارة الثقافة الفلسطينية، "الخطة الاستراتيجية لقطاع الثقافة والتراث ٢٠١٤ ـ ٢٠١٦: الثقافة حياة وممارسة" (٢٠١٣)، ص ٨ ـ ١٢، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.moc.pna.ps/strat2014.pdf
٢٧ أسامة العيسة، "إسرائيل تختار زهرة برية فلسطينية لتمثيلها في أولمبياد الصين"، "الشرق الأوسط"، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://archive.aawsat.com/details.asp?article=441661&issueno=10550#.WAX2X-ArLIU